شرح القواعد الأربع لإمام الدعوة شيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهاب

رَحِمَهُ الله

(ت: ١٢٠٦ هـ)

كتبه: عبداللطيف الراوي الحسيني

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٢٤ - ١٤٤٥

الراوي

للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد،

فهذه الرسالة التي بين أيدينا هي رسالةُ (القواعد الأربع) لإمامِ الدعوة ومجددِ ما اندرس من دين المرسلين شيخِ الإسلام محمدِ بنِ عبدالوهاب التميمي رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

وهذه الرسالة تُعدُّ من أهم الرسائل التي كتبها رحمه الله، وهي موجودة في الدرر السنية المجلد الثاني، وأيضًا في مجموعة التوحيد النجدية، وهي الرسالة الرابعة فيها تحت اسم (أربعُ قواعدَ للدين تميز بين المؤمنين والمشركين)

وتتمثل أهميتها في أربعِ قواعدَ تبينُ حقيقةَ الشرك، وحقيقةَ المشركين المتقدمين وحقيقةَ المشركين المتأخرين.

ودراسةُ هذه القواعدَ الأربع وضبطُها من الأهمية بمكان لكل موحد؛ لكي يكون عند المسلمِ فُرقانٌ يفرق به – بإذن الله – بين أهل الإسلام والتوحيد وبين أهل الشرك والتنديد على مختلف مسمياتهم وعلى مختلف عصورهم وعلى اختلاف معبوداتهم.

وبذلك يستطيع الموحدُ أن يحقق ما خلقه الله من أجله من الكفرِ بالطاغوت والإيمانِ بالله، كما قال سبحانه وتعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} [النحل:٣٦] وقال سبحانه: {**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [البقرة:٢٥٦].

ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقيقةِ الشرك وأهلِه، وبالخُلُوصِ من شركهم، والبراءةِ منهم وتكفيرِهم ومعاداتِهم، كما أمرنا ربُّنا -جل وعلا- بالاستنان بخليله إبراهيمَ عليه السلام فقال: {**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**} [الممتحنة:٤].

وبذلك تَحصُلُ المفاصلة بين أولياء الله الموحدين وبين أولياء الشيطان المشركين؛ إذ لا سبيل في دين المرسلين إلى الجمع بين الموحد والمشرك لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: {**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**} [القلم:٣٥-٣٦].

***

قال المصنف رحمه الله: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.**

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

الشرح: بدأ الشيخ – رحمه الله – رسالتَه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله، واقتداءً بقول النبي ﷺ: (**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأُ باسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**) [رواه أحمد وابن حبان وأبو داود وابن ماجه والنسائي والدارقطني، قال ابن الصلاح: الحديث حسن، وكذلك حسنه النووي، وسئل عنه الشيخ ابن باز رحمه الله فقال :"جاء هذا الحديث من طريقين أو أكثر عند ابن حبان وغيره، وقد ضعفه بعض أهل العلم، والأقرب أنه من باب الحسن لغيره" اهـ.]

وكان النبي ﷺ يفتتح رسائلَه إلى الملوك والزعماء بالبسملة، وافتتح سليمانُ – عليه السلام – كتابَه إلى ملكةِ سبأ بالبسملة، قال تعالى: {**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**} [النمل:٣٠].

والجار والمجرور في البسملة مُتعلِّقٌ بفعلٍ محذوفٍ مؤَخَّرٍ تقديره: "بسم الله أكتب" ، وفي ذلك فائدتان: الأولى: أنه يفيد التبرك باسم الله جل وعلا، والثانية: أنّ تقديم المُتبَرَّك باسمه يفيد الحصر.

الله: عَلَم على ذات الله سبحانه وتعالى، وهو اسم لا يُسمَّى به غيرُه، ومعنى الله: أي المألوه المعبود، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

الرحمن: صيغة مبالغة على وزن "فَعلان" مشتق من الرحمة، وهو أشد مبالغة من الرحيم، ويدل على الصفة الثابتة الكاملة القائمة به، أي: صفته الرحمة سبحانه وتعالى.

و**الرحيم**: على وزن "فَعِيل" بمعنى فاعل، وهو أيضًا صيغة مبالغة، لكن الرحمن أبلغ منه، والرحيم دالٌّ على تعدِّي الرحمةِ للمرحوم، إذن هو دال على الفعل، والرحمن دال على الصفة القائمة بالله عز وجل.

ثم بدأ الشيخ -رحمه الله- كعادته في رسائله بالدعاء للقارئ ولطلبة العلم، وهذا من رحمته وشفقته بإخوانه المسلمين عمومًا وطلبةِ العلم خصوصًا، تأسيًّا برحمة النبي ﷺ مع المؤمنين، وقد وصف الله تعالى نبيه بقوله: {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**}، فمقامُ الدعوةِ يستلزم اللّينَ والرحمةَ بالناس؛ لأن في ذلك تأثيرًا عظيمًا في المتلقي، بخلاف الشدة والغِلظة التي قد تُنفر الناسَ من الداعية.

فيقول الشيخ رحمه الله: **أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**: سأل اللهَ تعالى باسمِهِ **الكريم**: وهو الكثيرُ الخيرِ والعطاءِ، والمُكرِمُ المُنعِمُ المُتَفَضِّلُ على خلقه، والذي له قَدرٌ وشأنٌ عظيم، وهو المُنزَّه عن النقائِص والآفات.

وسأله بربوبيته للعرش العظيم، وخَصَّ العرش بالذكر؛ لأنَّ العرشَ أعظمُ مخلوقاتِ اللهِ وأعلاها وسقفُها، والله سبحانه وتعالى فوقه، مستوٍ عليه بذاته استواءً يَليق بجلاله وعظمته، وقد جاء هذا التوسلُ العظيم في قول النبي ﷺ: (**مَن عَادَ مريضًا لم يحضُرْ أجلُه فقال عنده سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَشفيَك، إلَّا عافاه اللهُ من ذلك المرضِ**)

[أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٨٧)، وأحمد (٢١٣٨)].

والمقام في هذا الحديث مقامُ رحمةٍ وشفقةٍ، وكذلك دعاءُ الشيخِ - رحمه الله - للمسلمين فيه رحمةٌ وشفقةٌ بهم.

يقول الشيخ رحمه الله: **أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**: فسأل اللهَ أن يتولانا في الدنيا والآخرة، أي: أن يكون وليًّا لنا في الدنيا والآخرة، فإذا تولانا ربُّنا في الدنيا هَدَانا إلى دينه القويم، ونَجَّانا من الشرك الوَخيم، وثبتنا على صراطه المستقيم، وحَفِظَنا من المكاره والآفات. وإذا تولَّانا في الآخرة سَهَّل علينا موقفنا في ذلك اليوم العظيم، وحَشَرَنا مع عباده الصالحين، وأدخلنا الجنة خالدين فيها أبدًا.

ثم قال في دعائه: **وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ**: البركة هي النَّمَاء والزيادة، وقال ابن القيم في معنى البركة: (البركة حقيقتها الثبوت واللزوم والاستقرار)، فهذا الدعاء مِنَ الشيخ للقارئ بأن يجعلَه اللهُ مباركًا في دينِهِ وعملِه وأهلِه ومالِه وولدِه، وفي حِلِّه وترحَالِه، وفي دُنيَاه وآخِرَتِه.

وقال: **وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ**. نعم صَدَقَ الشيخُ رحمه الله، فإنَّ من كان هذا حالُهُ فقد حَصَلَ على السعادة بجميع حذافيرها، وكما قال رسول الله ﷺ: (**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له**) [رواه مسلم (٢٩٩٩)].

وهذه المقامات الثلاثة – الإنعام والابتلاء والمعصية – لكل واحد منها عبادةٌ تقتضيها، يجب على العبد أن يُقَابِلَها بها:

فمقام النعمة يجب أن يُقابَلَ بالشكر، والشكرُ يكون بالقلب: بالإيمانِ بالرب المنعم – سبحانه وتعالى – والانقيادِ له وبالتبرؤ من الحول والقوة، وبالتوكلِ على الله،

وباللسان بالثناءِ عليه بالشكر والحمد،

وبالجوارحِ بإظهار نعمةِ الله عليه واستعمالها في طاعته ومرضاتِه.

ومقام الابتلاء يجب أن يُقابَل بالصبر، وحقيقة الصبر هنا هو حبس النفس عن التسخط والجَزَعِ عند المصائب، والرضى بتقدير الله الذي هو صفة من صفاته سبحانه، وهذا هو القدر المجزئ والواجب من الصبر في هذا المقام.

وأما مقامُ المعصية والذنب فيجب أن يُقَابل بالتوبة والإنابة والاستغفار، بأن يُحدِثَ لكل ذنبٍ توبةً نصوحًا صادقةً مُستوفيةً لشروطها، وشروطها هي: الندم، والإقلاع عن الذنب، والعزم الصادق على عدم العودة إليه، وقبل ذلك أن تكون التوبةُ خالصةً لوجه الله تعالى وليست لحظ دنيا أو غيره.

ثم قال رحمه الله: **اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ**

فِي الطَّهَارِة، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةِ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ. عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ الله تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

الشرح: قوله: **اعلم**: هذه الكلمة للتنبيه على أمر عظيم سيبدأ الشيخُ بالكلام عنه، وهي أمر من الشيخ للقارئ بأن ينتبه لما سيخبره به، كما قال تعالى: {**فاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**} [محمد:١٩].

ثم أعقبها الشيخُ بالدعاء للقارئ بأن يُرشدَه الله إلى طاعته، والرشاد ضِدُّ الغِوَايَة.

ثم قال: **أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]**: الحنيفية من الحنيف: وهو المائل من الشرك إلى التوحيد، والحنيفية تسمى بالملة العوجاء؛ لأنها مائلة من الشرك إلى توحيد الله رب العالمين، وهي دينُ الرسلِ جميعا، ودينُ خليلِ الرحمنِ إبراهيمَ عليه السلام، قال تعالى: {**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [نوح:١٢٣]، فنحن مأمورون باتباعِ الحنيفيةِ ملةِ إبراهيمَ عليه السلام، وهي كما قال الشيخ رحمه الله: **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**، كما قال سبحانه: {**إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ**} [الزمر:٢]، وقال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: ٥٦]، ومعنى {**يَعْبُدُونِ**} يوحدون، والتوحيد أول أمر ورد في كتاب الله، قال تعالى في سورة البقرة: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [البقرة:٢١]، قال

ابن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد) [تفسير البغوي].

فأصل دين الإسلام وأساسه وقاعدته هو توحيد الله، وهو دينُ المرسلينَ جميعًا، من نوحٍ عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ،

وكلُّ رسول بُعث إلى قومه يقول لهم: **{يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}**، قال تعالى: **{وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ}** [هود:٥٠]، وقال تعالى: **{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ}** [هود:٦١]، وقال تعالى: **{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ}** [هود:٨٤].

ونبيُّنا محمدٌ ﷺ بدأ دعوتَه لقريشٍ بقوله: (**قولوا: لا إله إلا اللهُ تفلحوا**) [رواه احمد].

إذن؛ دينُ المرسلين جميعًا واحدٌ في أصله، إلا وهو توحيد الله عز وجل بعبادته وحده وخلع الأوثان والأنداد والبراءة منها ومن أهلها، ولكن شرائعهم تختلف، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (**الأنبياءُ إخوَةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحِدٌ، وأُمَّهاتُهم شَتَّى**)، أي: واحد في أصله وهو الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، وشرائعهم تختلف بحسب كل زمان وحال.

وقوله رحمه الله: **مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**: الخالص: هو الصافي، وإخلاص الدين لله يكون بتصفيته من الشرك، كبيرِه وصغيرِه، من الشرك الأكبر الذي لا يجتمع مع التوحيد أصلًا، ومن الشرك الأصغر؛ كيسير الرياء والسمعة مما ينقص التوحيد ويقدح فيه، فيكون الدينُ خالصًا

صافيًا لله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: **{أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ}** [الزمر:٣]، فالله - سبحانه وتعالى - لا يقبل عملَ ابنِ آدم حتى يكون خالصًا لوجهه سبحانه، وموافقًا لشرعه الذي نَزَّله على نبيه ﷺ، وقد قال الله - تعالى - في الحديث القُدْسي: (**أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عَمِلَ عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركَه**) [رواه مسلم (٢٩٨٥)].

وقوله رحمه الله: **فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ**: إذا علمتَ أيها المسلم بأن السبب مِن خلقك وخلق السموات والأرض ومن فيهما هو لعبادة الله وحده وتركِ عبادةِ ما سِواه، كما قال سبحانه: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦] إذا عَلِمتَ هذا فعليك أن تعلم أن العبادةَ لا تُسمى عبادةً إلا مع توحيد الله جل وعلا.

هذا العلم هو في الحقيقة أولُ شرطٍ من شروط كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) كما قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ}** [محمد:١٩]، فكلمة التوحيد لها شروطٌ وأركانٌ ونواقض، أركانها اثنان، وشروطها سبعة ونواقضها كثيرة، كما أن للصلاة شروطٌ وأركانٌ ونواقضٌ.

ومِن شروط الصلاة الطهارة، وناقضُ الطهارةِ الحدث، فإذا أحدث المُصلِّي انتقضت صلاته وبَطَلَت، وكذلك التوحيد؛ من شروطه الإخلاص، فإذا أشرك المسلمُ انتقض توحيدُه وإسلامُه، وخرج من ملة المسلمين إلى ملة المشركين، فلا يجتمع في معينٍ إسلامٌ وشركٌ ألبتةَ حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط؛ لأن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، قال تعالى: **{إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ**

إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء:٤٨]، وقال سبحانه: **{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الأنعام:٨٨].

قال الشيخ سليمانُ بنُ سحمان – رحمه الله – في مجموعة الفتاوى النجدية (٣/ ١٩٥-١٩٦): (**من المعلوم بالضرورة من الدين أن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وعليه يستحيل تحتَ أيِّ شُبهةٍ من الشبه أن يكون المشركُ مسلمًا؛ لأن ذلك يؤدي إلى اجتماع النقيضين ووقوع المُحَال**). اهـ.

والشرك لغة من المشاركة والمخالطة، كما قال – موسى عليه – السلام لما سأل اللهَ أن يجعلَ أخاهُ هارونَ نَبيًّا معه ومُشاركًا له في الدعوة فقال: **{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}** [طه:٣٢]،

والشرك اصطلاحًا: هو تسويةُ غيرِ اللهِ باللهِ في شيءٍ من خَصَائِصِه، كالإشراك به في ربوبيته بأن يَجعَل مع الله خالقًا ومدبرًا ورازقًا، وهذا قليل في شركِ الناس كما سيأتي ذكره، أو يجعلَ له شريكًا في صفاته وأسمائه، أو يجعلَ له شريكًا في عبادته، وهذا هو أكثرُ شركِ الناس، وهو أصلُ شركِ العالم.

وركنا (لا إله إلا الله): هما النفي والإثبات:

النفي: في قولنا (لا إله): وهو الركن الأول من أركانها، فـ(لا) هنا نافيةٌ للجنس، واسمها (إلهَ)، وخبرها محذوف تقديره (حَقٌ)، فتكون: (لا إلهَ حَقٌ إلا الله)، والإله في اللغة هو المعبود، فيكون معناها: (لا معبودَ حَقٌ إلا الله). قال تعالى: **{ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}** [الحج:٦٢]. وقال الإمام ابنُ جريرٍ في تفسيره لقوله تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ**

إِلَّا اللَّهُ} [محمد:١٩]، قال رحمه الله: (**يقول – تعالى ذكره – لنبيه محمدٍ ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبودَ تَنبغِي أو تَصلُحُ له الألوهيةُ ويجوز لك وللخلق عبادتُهُ إلا اللهُ الذي هو خالقُ الخلقِ ومالكُ كلِ شيء**) اهـ.

فالمعبوداتُ التي يعبدها الناس كثيرة، ولكن المعبودُ بحق هو الله وحده جل وعلا، فالناس يعبدون الأحجار والأصنام والقبور والأضرحة، ويعبدون الأشجار والصالحين والطالحين، ويعبدون الملائكة والنجوم والكواكب، ولكنها كلَّها معبوداتٌ باطلةٌ لا تستحق أن تُعبد من دون الله، والله هو المستحقُ للعبادة وحده والمتفردُ بها سبحانه وتعالى.

إذن: الركنُ الأول لكلمة التوحيد وأولُ فرض على المكلفين: هو نَفيُ العبادةِ عَمَّا سِوى الله، ولا يَتحقق ذلك إلا بالخُلُوصِ من الشرك والبراءةِ من المشركين وتكفيرِهم ومعاداتِهم، وهذا الفرض والركن الأول هو الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: {**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا**} [البقرة:٢٥٦] قال سعيد ابن جبير رحمه الله: (العروةُ الوُثقى هي لا إله إلا الله).

فجواب الشرط في هذه الآية في قوله تعالى: {**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**} يعني فقد استمسك بلا إله إلا الله، وحاصله أن من لم يكفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله: لم يستمسك بلا إله إلا الله ولم يُحقِّقَهَا، ولم تَصِحَّ منه.

ويكون الركن الثاني لكلمة التوحيد: هو في قولنا (إلا الله): وهو الإيمان بالله بإخلاص العبادة له وحده بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة.

ونلاحظ أن الله – تعالى – قَدَّم في الآية السابقة الكفرَ بالطاغوت على الإيمان بالله؛ وذلك تحقيقًا لمقتضى كلمة التوحيد، فالنفيُ فيها مقدم على الإثبات، ولأن الإنسان لا يَصدُق في حقه أنه مسلم موحد حتى يخلع الأنداد والطواغيت ويتبرأ منها وممن يعبدها، فإن لم يفعل لم يُسَمَّ موحدًا.

كيف يُسمِّي نفسه مسلمًا موحدًا وهو لم يكفر بما يُعبد من دون الله؟!

وكيف يُسِمِّي بعضُ المجرمين في هذا العصر مَن يعبدُ غيرَ الله مسلمين وهم لم يَكفروا بالطاغوت ولم يؤمنوا بالله أصلا؟! هؤلاء الذين يَحكمون بإسلام القبوريين لم يَعرفوا حقيقة الإسلام وحقيقةَ دين المرسلين.

وفي ذلك يقول الشيخُ محمدُ بن عبدالوهاب –رحمه الله– في رسالة معنى الطاغوت ضمن مجموع مؤلفاته (١/ ٣٧٦): (اعلم رحمك الله، أن أول ما فَرَضَ اللهُ على ابن آدم: الكفر بالطاغوت، والإيمانَ بالله؛ والدليل قوله تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} [النحل:٣٦]. فأما صفةُ الكفرِ بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتَترُكَهَا، وتُبغِضَهَا، وتُكَفِّر أهلها، وتعاديهم، وأما معنى الإيمانِ بالله: أن تعتقدَ، أن الله هو الإلَهُ المعبودُ وحده، دُونَ من سِواه، وتُخلصَ جميعَ أنواعِ العبادةِ كلِّها لله، وتَنفِيَهَا عن كلِّ معبودٍ سِواه، وتحبَ أهل الإخلاص، وتواليهم، وتُبغضَ أهل الشرك، وتعاديهم؛ وهذه: ملةُ إبراهيم التي سَفِهَ نفسَه من رَغِب عنها؛ وهذه: هي الأُسوة التي أخبر الله بها في قوله: {**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِالله وحده**} [الممتحنة:٤]...

إلى أن قال رحمه الله: واعلم: أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله، إلا بالكفرِ بالطاغوت، والدليلُ قوله تعالى: {**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}[البقرة ٢٥٦]." اهـ.

وبعد أن ذَكرنَا ركني كلمةِ التوحيد، ينبغي أن نذكر شروطَها التي لا تصح إلا بها،

وقد جمع العلامةُ حافظٌ الحكمي - رحمه الله - شروطَ لا إله إلا الله في أبيات فقال:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيِّدت وفي نصوصِ الوحيِّ حقًا وردت

فإنه لم ينتفع قائلُها بالنطقِ إلا حيثُ يستكملها

والعلمُ واليقينُ والقَبولُ والانقيادُ فادرِ ما أقولُ

والصدقُ والإخلاصُ والمحبه وفقك الله لما أحبه

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في كلامهِ أولَ شرطٍ من شروطها، ألا وهو العلم:

فالشرط الأول: هو العلمُ المنافي للجهل، بأن يَعلَم قائلُ هذه الكلمةِ معناهَا وهو أنه لا معبودَ حَقٌ إلا الله، قال تعالى: {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**} [محمد:١٩]، وقال سبحانه: {**إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [الزجرف:٨٦]، قال ابن جرير في تفسيره: (**إلا من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد اللهِ يعني بذلك: إلا من آمن باللهِ وهم يعلمون حقيقةَ توحيده**) اهـ.

فالذي لا يعلم معنى لا إله إلا الله وجَهِلَ معناها لم يحقق أول شرط من شروطها، وهذا حالُ جميعِ من يعبدُ غيرَ الله من القبوريةِ المشركينَ وأضرابِهم،

والشرط كما عرَّفه الأصوليون: (**هو ما لزم من عدمه العدم، ولم يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته**)، فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط، حينئذ لم تَصِحَّ كلمةُ التوحيد من قائلها.

والعَجَبُ ممن يحكمُ بإسلام عُبَّادِ القبورِ المشركينَ في هذا العصر بحجة أنهم معذورون بجهلهم، مع أن الجهل كما تقدم، ناقضٌ لأول شرطٍ من شروط لا إله إلا الله، وهولاءِ المرجئةُ المعاصرةُ جعلوا الجهلَ بها إسلامًا وتوحيدًا، مع أن الجهل بها شركٌ وتنديدٌ، وهؤلاءِ المنافحونَ عن عباد القبور اليوم يسيرون على سُنَنِ سلفهم من أعداء دعوة الإمام المجدد، المجادِلِينَ عن إخوانِهم القُبُوريين.

وفي هذا المعني يقول الشيخُ ابنُ بازٍ – رحمه الله – في مجموع فتاويه (٧/ ٤٥): (**هذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلَها ولا تُخرِجه من دائرة الشركِ إلا إذا عرف معناها وعَمِل به وصَدَّق به**) اهـ.

والشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله: اليقينُ المنافي للشك: فلا تصح كلمة التوحيد من قائلها حتى يكون على يقين جازم أن اللهَ هو المعبودُ بحقٍ وحدَه سبحانه، وأن عبادةَ ما سِواهُ باطلة، فإن شَكَّ أو تردد لم تَصِحَّ منه، قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**} [الحجرات:١٥].

والشرط الثالث: القَبول المنافي للرد: أي القَبول بما تقتضيه كلمةُ التوحيد من عبادةِ الله وحده، والكفرِ بما يُعبَد من دونه، أما مَن لم يَقبَل بما تَدُلُّ عليه فليس بمسلم، قال تعالى: **{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ}** [الصافات:٣٥].

والشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك: بأن يَنقاد ويسلم لله – تعالى – بعبادته وحده وتركِ عبادةِ ما سواه، والتزامِ شريعته والعملِ بها، فإن لم يَنقدْ للهِ وأوامرِه ونواهِيه ولم يلتزم بما شرعه الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه وخرج عن دائرته، قال تعالى: **{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}** [لقمان:٢٢] وقال سبحانه: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: ٦٥].

والشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب: بأن يُصدِّق بقلبه ما قالَه لسانُه، وإلا كان منافقًا يُظهر خلاف ما يُبطن من الكفر والتكذيب بدين الإسلام والعياذ بالله، قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}** [البقرة: ٨-٩-١٠].

والشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك: بأن يُصَفِّي عملَه الظاهرَ والباطنَ من جميع شوائبِ الشرك أكبرِه وأصغرِه، قال تعالى: **{قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}** [الزمر: ١٤]، فإن دخل على عمله الشركُ الأكبرُ خرج عن دائرة الإسلام، وإن خالطه الشرك الأصغر كيسير الرياء

والسمعة، انقدح توحيده ونَقُص، وقد يَخرج عن دائرة الإسلام بالكلية إذا تعدى نفاقه الأصغر إلى النفاق الأكبر والعياذ بالله.

والشرط السابع والأخير من شروط (لا إله إلا الله) هو المحبةُ المنافية للبغض: بأن يحبَّ هذه الكلمةَ الطيبةَ وما تقتضيه من عبادةِ الله وحده وعدمِ الإشراك به، ويحبَّ أهل التوحيد الذين يحبون الله حبًا خالصًا، فإن أحب الله وأحب معه غيره صار من أهل الشرك والتنديد الذين قال الله تعالى فيهم: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**} [البقرة:١٦٥]، وهذا حال المشركين في كل عصر ومصر، يعبدون الله ويعبدون معه غيره، مثل مشركي زماننا من عباد القبور، ينتحلون الإسلام ويصرفون بعضَ عباداتهم لله، وبعضَها لغير الله، وإذا ذُكر الله وحده ودُعُوا إلى عبادةِ الله وحده وتركِ عبادة القبورِ وأصحابِها ثارت ثائرتُهم وانتفخت أوداجُهم لشدة تعلقهم بمعبوداتهم الباطلة، وتقديمِ حبِّها على حبِّ الله سبحانه وتعالى، أشرِبُوا في قلوبهم حبَّها وعبادتَها والعياذ بالله.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ. عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:**

بعدما تقرر أن الشركَ إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وأخرجَ صاحبه من دائرة الإسلام، وإن مات صاحبُه على على ذلك صار من الخالدين في النار إلى أبد الآباد، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ**

فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ [البقرة:١٦٢-١٦٢]، فإذا عرف الإنسانُ ذلك المصيرَ الحتميَّ لِمَن أشرك بالله، وجب عليه معرفةُ حقيقةِ هذا الشرك الذي هو أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به، ووجب عليه أيضًا معرفة حال المشركين المتقدمين والمتأخرين، وأفاده ذلك فوائدَ ذكرها الشيخ محمد – رحمه الله – في رسالة كشف الشبهات، فقال:

الأول: الفرحَ بنعمة الله وفضلِهِ ورحمتِه على المسلم الموحد بأن نجاه من شبكة الشرك، كما قال تعالى: {**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**} [يونس: ٥٨].

الثاني: الخوفَ العظيم. فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما قص على قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: {**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**} [الأعراف: ١٣٨] فحينئذ يَعظمُ خَوفُكَ وحِرصُكَ على ما يُخلِّصك من هذا وأمثاله.

وأفادك أيضًا فائدةً عظيمة وهي: أن الشرك لَمَا وُجِد لو لمْ يُشرِكْ أحدٌ بربه جل وعلا، وإلا لكان وجودُ الشركِ وجودًا ذِهنيًّا ليس له حقيقةٌ خارج الذهن، وهذا فيه رَدٌّ على أعداء الله الذين يَحكُمُون بإسلام المشركين، ويَمنَعون الناسَ من تَكفيرهم بحجة التَّفريق بين الفِعل والفاعل، فَيُلَبِّسُون على الجهلة ويقولون لهم أن من عَبَدَ غير الله نقول إن فعله شرك، ولكن هو لا يُسمَّى مشركًا ما دام يتلفظ بالشهادتين! ويقول بعضهم: إن الآيات التي فيها ذِكْرُ المشركين في القرآن إنما نَزَلَت في المُشركين المُتَقدِّمين أو في مشركي أهلِ الكتاب من اليهود والنصارى وأما عُبَّاد

القبور والأضرحة اليوم لا تشملهم هذه الآيات لأنهم ينتسبون إلى الإسلام ويقولون (لا إله إلا الله)! هذا كلامهم.

فوقع في شر هذه البدعة فئام ممن ينتسبون إلى السنة والسلف، والسلف منهم براء.

قرر الشيخ الإمام محمدُ بنُ عبدِالوهَّاب - رحمه الله - بين يدي القواعدَ الأربعِ تعريفًا لدين المرسلين جميعا: وهو التوحيد بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، وقرر التوحيد لا يجتمع مع الشرك بالله، وأن من مات على الشرك صار من الخالدين في النار.

وسيشرع الشيخ - رحمه الله - بذكر الأربعِ قواعدَ التي تبين حقيقةَ الشركِ والمشركين، لنميزَ بها بين المؤمنين وبين المشركين، وهذه القواعد كلُّها مُستَنبَطةٌ من كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ:

قال رحمه الله: الْقَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ - تَعَالَى - هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

الشرح: هذه هي القاعدة الأولى التي تُبين حقيقةَ المشركين الذين بُعِث فيهم رسولُ الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءَهم وأموالَهم، وسَبَى ذَرَارِيَهم ونساءَهم.

فهؤلاء كانوا يُقرون بتوحيد الربوبية؛ أي: إن الله هو الخالق والرازق والمدبر، ولم يجادلوا الرسول ﷺ في هذه الحقيقة المستقرة عندهم وعند أكثرِ أهلِ الأرض، كما قال تعالى: {**قُلْ مَن**

يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} [يونس:٣١]، وقال سبحانه: **{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}** [الزمر:٣٨]،

قال ابن جريرٍ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (يقول – تعالى ذكره – لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمدُ هؤلاءِ المشركين العادِلِين بالله الأوثانَ والأصنامَ: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقهن الله، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة .. هل هن كاشفاتٌ عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ وإن أرادني برحمة أن يصيبني، وسَعَةً في معيشتيا وكثرةً في مالي ورخاءً وعافيةً في بدني، هل هُنَّ ممسكاتٌ عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وتَرَكَ الجوابَ لاستغناءِ السامعِ بمعرفة ذلك ودَلالَة ما ظَهَرَ من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون: لا. فقل: حسبي الله مما سِواهُ من الأشياءِ كُلِّها إياهُ أعبُدُ وإليه أفزعُ في أموري دونَ كلِّ شيءٍ سِواه فإنه الكافي وبيده الضُّر والنَّفع لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع) اهـ.

فإقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخِلهم في الإسلام.

ويَنبغي هنا أن نبين أقسامَ التوحيد، وهي ثلاثة أقسام، لا يكون الإنسان مسلمًا موحدًا حتى يحققها ويؤمن بها جميعًا:

والقسم الأول من أقسام التوحيد،

هو: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله، بالإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهو المحيي والمميت، وهذا التوحيد لم يُنازع فيه أحدٌ من الأمم كما مر معنا في الأيات القرآنية، ومِن ذلك أيضًا قوله تعالى: {**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**} [المؤمنون:٨٦-٨٧]. وقال قَتادة رحمه الله: (الخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك) اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ١٥٦)]: "إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحدٌ من بني آدم، ولا أثبَتَ أحدٌ إلهين متماثلين ولا متساويين في الصفات ولا في الأفعال، ولا أثبتَ أحدٌ قديمين متماثلين ولا واجبي الوجود متماثلين، ولكن الإشراك الذي وقع في العالم إنما وَقَع بِجعل بعضِ المخلوقات مخلوقةً لغير الله في الإلهية، بعبادةِ غيرِ الله تعالى واتخاذِ الوَسَائط ودعائِها والتقربِ إليها، كما فعل عُبَّادُ الشمس والقمر والكواكب والأوثان وعُبَّادُ الأنبياءِ والملائكةِ أو تماثيلِهم ونحوِ ذلك ، فأما إثبات خالقين للعالم متماثلين فلم يَذهب إليه أحد من الآدميين" اهـ.

حتى مَن جَحَدَ هذا التوحيدَ ظاهرًا فهو مُقرٌّ به في قرارة نفسه، كما كان مِن شأن فرعونَ لما قال له موسى عليه السلام: {**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا**} [الإسراء:١٠٢]، وكذلك قولُهُ تعالى في آل فرعون: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**} [النمل:١٤].

وكما قلنا أن توحيدَ الربوبية لا يكفي في إدخال الإنسان في الإسلام؛ لأنه ليس المقصودَ مِن شهادةِ التوحيد، وإن كان توحيدُ الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية.

ولقد ضل كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام بسبب تعريفِهم الخاطئِ لكلمة التوحيد، فجعلوا معنى (لا إله إلا الله): "لا قادرَ على الاختراعِ والصنعِ إلا الله" ، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به مشركو قريش وسائرُ المشركين على مر الأعصار، فلم يكن ثَمَّ فَرقٌ بين المشركين المتقدمين وبين هؤلاء المشركين المنتسبين للإسلام العابدين للقبور والأضرحة والأولياء.

والقسم الثاني من أقسام التوحيد: هو توحيد الأسماء والصفات: وهو داخل في توحيد الربوبية،

ولهذا قَسَّمَ بعضُ العلماءِ التوحيدَ إلى قسمين:

إلى توحيدِ المَعرفة والإثبات: وهو الذي يشمل توحيدَ الربوبية وتوحيدَ الأسماء الصفات،

والقسم الثاني: توحيدُ القصد والطلب: وهو توحيد الألوهية.

وتوحيد الاسماء والصفات: وهو إفراد الله – سبحانه وتعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، بالإيمان بصفاته التي جاءت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهذا التوحيد ضلَّت فيه طوائفُ كثيرة، وعلى رأسهم الجهميةُ النُّفاة، ومن سار على طريقتهم من جهمية المعتزلة وجهمية الأشاعرة.

والحقيقة إن أكثرَ المشركين المنتسبين إلى الإسلام اليوم هم جهميةٌ معطلةٌ لصفات الله سبحانه وتعالى، فهم في ظلمات بعضها فوق والعياذ بالله، حتى إنك لتجدُ المشركَ الجهمي في زماننا يُنكر صفاةً ثابتةً في الكتاب والسنة، بل وفي الفطرة والعقل كصفة علو الله على خلقه، لم يكن يُنكِرُها المشركون المتقدمون، كما جاء في سنن الترمذي أن رسولَ الله ﷺ قال لحصينِ بن عبيدٍ الخُزاعي قبل إسلامه: (**يا حُصَينُ، كم تعبُدُ اليومَ إلهًا؟ فقال: سِتَّةً في الأرضِ وواحدًا في السَّماءِ، قال: فأيُّهم تَعُدُّهُ لرغبتِكَ ورهبتِكَ؟ قال: الذي في السَّماءِ**) [أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) وقال: حديث حسن غريب]

فدَلَّ ذلك على أن المشركين كانوا يُقرُّون بِعُلُوِّ الله على خلقه، بخلاف مشركي زماننا الذين أنكروا علوه، وعطلوا صفاته، ثم عبدوا غيره.

وهذا مآلٌ حتميٌّ لِمّن عَطَّل صفاتَ الرب جل وعلا؛ لأن الإيمان بصفات الله يجعلُ العبدَ على معرفةٍ حقيقيةٍ بربه سبحانه وتعالى، ومن عَرَف ربَّه حَقَّ المعرفة عَلِمَ يقينا أنه لا يستحق العبادةَ إلا هو سبحانه وتعالى.

والقسم الثالث من أقسام التوحيد: هو توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد القصد والطلب: وهذا القسم هو الذي حَصَل فيه النزاع بين الرسل وأتباعهم وبين من خالفهم من المشركين، فإن المشركين كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ولم يرضوا بأن يُعبَد الله

وحده، فقالوا: {**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**} [ص:٥]، قال ابنُ جريرٍ في تفسيره لهذه الآية: (قال هؤلاء الكافرون: أَجَعَلَ محمدٌ المعبوداتِ كلَّها واحدًا؟!) اهـ.

وهذا التوحيد هو السبب الذي خلق الله السماوات والأرض والجن والإنس من أجله، ومن أجله أرسل رسله وأنزل كتبه، ألا وهو عبادة الله وحده بإفراده بأفعال عباده، قال تعالى: {**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء:٢٥].

والعبادة لغةً: الخُضُوعُ والتَّذَلُّلُ بِقَصدِ التعظيم،

وأحسنُ ما قيل في تعريف العبادة اصطلاحًا: هي: (اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ) [العبودية لابن تيمية (٤٤)].

فلا تُصرَفُ العبادةُ إلا لله جل وعلا، لأنه هو المتفرد باستحقاقها دون ما سِواه، فلا يُسجدُ إلا لله، ولا يُدعَى غيرُ الله، ولا يُستغاثُ بغير الله فيما لا يَقدِرُ عليه إلا الله، ولا يُذبَح إلا لله، ولا يُنذَر إلا لله، ولا يُتوَكَّلُ إلا على الله، إلى غير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، فمن صَرَفَ شيئًا من ذلك لغير الله فهو مشرك كافر بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين،

قال تعالى: {**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**} [النساء:٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: (**مَن مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ**) وفي رواية: (**مَن مَاتَ وهْوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**) [رواه البخاري ومسلم].

قال شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب رحمه الله: (اعلم أن الأدلةَ على تكفير المسلمِ الصالحِ إذا أشرك، أو صَارَ مع المشركين على المُوحدين ولم يُشرك: أكثرُ من أن تُحصَى من كلامِ اللهِ – عز وجل – وكلامِ رسولِ الله ﷺ وكلامِ العلماء، وأنا أذكرُ لك آيةً في كتاب الله أجمع العلماءُ على تفسيرها وأنها في المسلمين، وأن الرجل إذا قال ذلك فهو كافرٌ في أي زَمَان كان، قال تعالى: {**مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [النحل:١٠٦]) اهـ.

وبمعرفة هذه القاعدة الأولى يتبين لنا حالُ المشركين في القديم، وحالهم في هذا الزمان، وأنه لا فرقَ بينهما، فكلهم يُقرون بتوحيد الربوبية، ويَجحدون توحيد الألوهية، يُقرّون بأن الله هو الخالق والرازق والمبدر، ولكن يُشركون معه غيرَه في العبادة، فيستغيثون بالمقبورين، ويطلبون منهم المدد والولد والرزق، ويذبحون لهم، ويطوفون في قبورهم، ويتوكلون عليهم، تماما كما كان يفعل مشركو قريش مع أوثانهم وطواغيتهم، بل مشركو زماننا شرٌّ من مشركي قُريشٍ كما سيأتي بيانُ ذلك شاء الله.

قال رحمه الله: الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾ [يونس:١٨]. وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ. فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]. وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح: هذه القاعدة الثانية في بَيان صورةِ الشرك الذي عليه أكثرُ المشركين المتقدمين والمعاصرين، إلا وهو شركُ الوَسَاطَة، فإنهم يُقرّون بربوبية الله بأنه الخالق الرازق المدبر، الذي بيده مَلَكُوتُ كلِّ شيء، ولكنهم يقولون: ما دعونا هذه الأصنامَ والأوثانَ والقبورَ ولا توجهنا إلى الأموات والغائبين إلا لطلب القربة والشفاعة عند الله، ويقولون: نحن عِبادٌ مُقصِّرون مذنبون، وهذه الأوثان والقبور ومن فيها من الأولياء والصالحين أقرب منا عند الله، فنسألهم الشفاعة عنده، نسألهم فيسألون الله لنا، كما في قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**} [الزمر: ٣]. فحكم الله عليهم بالكفر والكذب في آخر الآية.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**} [يونس:١٨]. فأثبت الله –جل وعلا– أن ما يفعلونه عبادة لغير الله.

وهذه الصورة من الشرك عليها أكثرُ المشركينَ في القديم والحديث؛ فمشركو قريش كانوا يتقربون إلى الله بدعاء طواغيتهم وأصنامهم، كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن مشركي قريش كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة: (**لبيك اللهم لبيك،**

لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكا لك، تَملِكُهُ ومَا مَلَك)، فهم يقرون أن المالك والخالق لهذه الأوثان هو الله، ومع ذلك يشركونها معه في العبادة.

وكذلك النصارى يَكثُر فيهم شركُ الوَسَاطة، فيتقربون إلى الله بدعاء من مَات من أحبارهم ورهبانهم،

وهكذا الحال عند اليهود، يكثر عندهم البناءُ على القبور ودعاءُ أصحابها والتبركُ بهم.

بل إن أصل شرك العالم هو دعاءُ قبورِ الصالحين وطلبُ الشفاعةِ منهم، فقد كان الناس كلُّهم على التوحيد لعَشَرَةِ قُرُون من آدمَ - عليه السلام - حتى زمنِ نوحٍ عليه السلام، ثم بدأ الشرك في البشرية في قوم نوح بدعاء قبور الصالحين،

ففي الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: في قول الله تعالى: {**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**} [نوح: ٢٣]، قال ابن عباس: (**هذه أسماءُ رِجالٍ صالحين مِن قومِ نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلمُ عُبِدَت**)،

وقال غيرُ واحدٍ من السلف: (**لَمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم**)،

وفي رِوَاية: (**جاء إليهم إبليسُ فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبِهِم يُسقَونَ المطر، فعبدوهم**) أي: يتقربون إلى الله بدعائهم لِيُسقَوا المطر.

وأوثانُ قومِ نوح عَبَدتها العربُ بعد ذلك، ففي صحيح البخاري (٤٩٢٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عنْهمَا – قال: (**صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ؛ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بالجَوْفِ عِنْدَ سَبَأٍ، وأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ**) انتهى كلامه رضي الله عنه.

وأوثانُ اليوم هي أوثانُ الأمس، وشرك اليومُ هو شرك الأمس، فعُبَّادُ القبور بكل مسمياتهم من رافضة وصوفية يسألون أصحابَ القبور الذين صاروا رميما، ويقولون: ما دعوناهم إلا لطلب القربة والشفاعة، ونحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، ولا نعتقد أنهم يضرون أو ينفعون، وإنما هم واسطة بيننا وبين الله، فنسألهم وهم يسألون الله لنا؛ لأننا عِباد مقصرون مذنبون، وهؤلاء الأولياء أقرب منا إلى الله.

هذا هو كلامُهم، وكلامُ مَن قَبلَهم من المشركين، لم يأتوا بشيء جديد عما كان عليه أسلافُهم من المشركين.

ومع وضوح القرآن في بيانِ التوحيد والتحذيرِ من الشرك وَ رَدِّ هذه الشبهِ الواهيةِ تجد هؤلاءِ المشركينَ مرتكسون في ضلالهم، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

وبمعرفة هذه القاعدة يعلم المسلمُ الموحدُ حالَ مشركي زمانِه، وأنه لا فرقَ بينهم وبين مشركي قريش، حينئذ لا يتوقف في كفرهم ولا يشك في أمرهم.

وللرد على شبهة طلب الشفاعة من الأموات والغائبين، شرَعَ الشيخ – رحمه الله – في بيان أقسام الشفاعة، فقال: (**وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ**): والشفاعة: لغةً: من الشَّفع: وهو الزوج، الذي هو خِلافُ الوَتْرِ.

وسُمِّيَت بالشفاعة؛ لأن المُتَوَسِّط صارَ زوجًا للذي سألَه الوَسَاطة، فصار شفيعًا له.

واصطلاحًا: الشفاعة هي طلبُ التَّوَسُّطِ للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

قال الشيخ رحمه الله: (**فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]**):

أي الشفاعة قسمان:

شفاعةٌ منفيةٌ شركيةٌ باطلةٌ لم يأذن بها الشارع.

وشفاعة مُثبتةٌ صحيحةٌ أذِن بها الشارع.

الشفاعة المنفية: كما عَرَّفها الشيخ: هي ما كانت تُطلَبُ مِن غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فعندنا قيدان لهذه الشفاعةِ الشركيةِ المَنفية:

الأول: أنها تُطلَب من غير الله.

الثاني: أنها تُطلب فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فإذا تحقق أحدُ هذين القيدين عُدَّت شفاعةً شركيةً منفيةً مُخرِجَةً عن ملةِ الإسلام.

كدعائهم الأموات والغائبين بقولهم: "يا رسولَ الله اشفع لي" ، "يا حسينُ اشفع لي" ، "يا عبدَالقادر اشفع لي" أو كقولهم: "يا حسين سل الله لي كذا" أو "يا رسول الله ادعُ الله لنا" أو "يا جبريلُ أسألك أن تشفع لي عند ربك" ونحو ذلك.

فجميع هذه الأمثلة دعاءٌ لغير الله من الأموات أو الغائبين، ودعاءٌ غير الله شرك أكبر؛ لأن الدعاءَ عبادةٌ لا تَصلُحُ إلا لله جل وعلا، فمن صرفَهَا لغير الله فهو مشرك كافر، قال تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا}** [الجن:١٨]، وقال رسولُ الله ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)** [رواه أحمد (١٨٣٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤)].

وهي أيضًا دعاءٌ فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأن المخلوق لا يَملِك الشفاعةَ، وإنما المالكُ لها هو اللهُ وحدَه، قال تعالى: **{قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}** [الزمر:٤٤]. أيضًا هؤلاءِ الأموات الذين يسألونهم الشفاعة والدعاء قد غادروا هذه الحياةَ الدنيا إلى الحياة البَرزَخية، وانقطع عملُهُم، كما قال رسول الله ﷺ: **(إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)** [رواه مسلم (١٦٣١)]. ولا يمكن لهؤلاء الأموات سماعُ من يدعوهم، قال تعالى: **{وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ}** [فاطر:٢٢].

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦): "وإن أثبتم وسائطَ بين الله وبين خلقه - كالحجاب الذين بين المَلِكِ ورعيته - بِحَيثُ يَكُونون هُم يَرفعون إلى الله حوائجَ خلقه، فالله إنما يَهدي عبادَه ويرزُقُهُم بِتَوَسُّطِهِم، فالخَلق يَسألونهم وهم يَسألون اللهَ، كما أن الوَسَائط عند المُلوكِ يسألونَ الملوكَ الحَوائِجَ للناس لِقُربِهم مِنْهُم، والناس يسألونَهم أدبًا مِنهُم أن يُبَاشِروا سُؤالَ المَلك، أو لأن طَلَبَهُم مِن الوَسَائِط أنفَعُ لهم مِن طَلَبِهِم

من الملك لكونهم أقربَ إلى الملك من الطالبِ للحوائج . فمن أثبتهم وسائطَ على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب فإن تَاب وإلا قُتل. وهؤلاء مُشَبِّهُون لله؛ شَبَّهوا المَخلوقَ بالخَالِقِ وجَعَلوا لله أندادًا." اهـ.

ثم قال الشيخ رحمه الله في بيانِ القسم الثاني من الشفاعة، إلا وهي الشفاعة المُثبتة:

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

إذن الشفاعة المثبتة لها شرطان لكي تتحقق:

الأول: إذنُ اللهِ للشافع.

والثاني: رضا اللهِ عن المَشفُوع له.

فإن اختل شرطٌ منهما انتفت الشفاعة وبطلت.

فالشافع عند الله لابد أن يأذن اللهُ له بها؛ لأن الشفاعةَ مُلكٌ لله وحده، وليس لأي أحد أن يشفع إلا مِن بعد إذن الله – سبحانه وتعالى – حتى وإن كان مَلَكًا مُقَرَّبًا أو نَبيًّا مُرسلا، قال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥]،

قال العلّامة السّعديُ – رحمه الله – في تفسيره: (أي: لا أحدَ يَشفعُ عِندَه بِدون إذنه، فالشفاعةُ كلُّها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذِنَ لِمَن أراد أن يُكرِمَه من عباده أن يَشفَع فيه، لا يَبتَدِئُ الشافعُ قَبل الإذن) اهـ.

وقال سبحانه: {**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ**} [النجم:٢٦]، قال ابن جريرٍ رحمه الله: (هذا تَوبيخ من الله - تعالى ذكره - لعبدةِ الأوثان والملإِ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون {**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**}، فقال الله - جل ذكره - لهم: ما تنفعُ شفاعةُ ملائكتي الذين هم عندي لِمَن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة مَن دُونهم؟!، فأَعْلَمَهُم أن شفاعةَ ما يعبدون من دونه غيرُ نافعةٍ لهم) اهـ.

وكذلك المشفوعُ له، يجب أن يَرضَى اللهُ عنه لكي تَحصُلَ له الشفاعة، والله - تعالى - لا يرضي إلا عن عباده المؤمنين الموحدين، ولا يَرضَى عن المشركين الكافرين، قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: {**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**}، قال: (ولا تنفع شفاعةُ شافعٍ كائنًا من كان الشافعُ لِمَن شَفِع له، إلا أنْ يَشفعَ لِمَن أذِنَ اللهُ في الشفاعة، فإذا كانت الشفاعاتُ لا تَنفعُ عند الله أحدًا إلا لِمن أذنُ الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرةِ بِهِ، وأنتم أهلُ كفرٍ به أيها المشركون، فكيف تعبدون مَن تعبدونه من دون الله زَعمًا منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم؟!) اهـ.

وقال تعالى: {**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ**} [الأنبياء:٢٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تَشفع الملائكةُ إلا لمن رَضِيَ اللهُ عنه.. وهم: الذين ارتضى لهم شهادةَ أن لا إله إلا الله) اهـ.

إذن لا يَرضى اللهُ عن المشفوعِ له حتى يُحقّق شهادةَ (لا إله إلا الله) بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، وأما أهل الشرك والتنديد فليس لهم نصيبٌ يومَ القيامة في شفاعة رسولِ الله ﷺ ولا غيرِه، بل ليس لهم إلا النارُ والعياذ بالله.

وفي ذلك قال رسولُ الله ﷺ: (**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مَنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**) [رواه البخاري (١٠٥)]،

وقال عليه الصلاة والسلام: (**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**) [رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)].

وبمعرفة هذه القاعدة العظيمة يتبين بطلانُ ما ذَهَبَ إليه المشركون من اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله يدعوهم ويسألونهم الشفاعة والدعاء.

وتبينَ لنا الفرقُ بين الشفاعةِ المنفية الشركية وبين الشفاعة المُثبتة الشرعية، وأن النبيَ ﷺ مِن الذين سيأذنُ اللهُ لهم بالشفاعة يوم القيامة، فيجوزُ للمسلمِ أن يسأل الله أن يُشَفِّعَ فيه رسولَه ﷺ؛ لأنه سأل الله الشفاعة، فهي بيده سبحانه، ولأن الدعاءَ لا يُصرفُ إلا لله، ولأن الشافعَ هو رسول الله ﷺ، وهو من الذين أذن الله لهم بالشفاعة، بل هو أعظمهم عليه الصلاة والسلام

أما مَن سألَ رسول الله ﷺ الشفاعةَ بعد مَوته، أو سأل ميِّتًا أو غائبًا الشفاعةَ فهو مشرك كافر، لا فرق بينه وبين المشركين الأولين الذين قال الله تعالى فيهم: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**} [يونس:١٨].

ثم قال الشيخ رحمه الله: **الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾ [الأنفال: ٣٩]. وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا...﴾ الآية [آل عمران: ٨٠]. وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]. وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]. وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]. وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثُ.**

الشرح: هذه قاعدةٌ عظيمةٌ أخرى في بيان حقيقة الشرك وأهله، وهي أن النبي ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، فلم يكونوا يَعبدون نوعًا واحدًا من المعبودات، فمِنْهُمْ مَنْ

يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ والقبور، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ والكواكب، وهذا الاختلافُ في المعبوداتِ مَرجِعُهُ إلى أهواءِ المشركين، ولِكثرة أهوائِهم اختلفوا هذا الاختلافَ الكبير، فسُبُل الباطل والكفر والشرك كثيرةٌ ومُتشعبةٌ وسَبُيل الله واحد لا ثانيَ له.

ومع اختلافهم هذا حَكَمَ رسولُ اللهِ ﷺ على جميعِهِم بالكفر، وَقَاتَلَهُمْ، واستحل دماءَهم وأموالهم، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، فقاتل عليه الصلاة والسلام مشركي قريش عبدة الأوثان، وقاتل النصارى واليهود، وكذا قاتل صحابتُهُ من بعده، قاتلوا المشركين الوثنيين والنصارى واليهودَ والمجوسَ، ولم يُفرِّقوا بينهم.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال: ٣٩]:
والفتنة الشرك، أي مناط التكفير والقتال عند النبيِّ ﷺ وصحابتِهِ هو مُحاربةُ الشرك والقضاءُ عليه؛ ليكونَ الدينُ خالصًا لله تعالى، خاليًا من الشرك، قال ابن جرير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: (فقاتلوهم حتى لا يكون شركٌ، ولا يُعبَدَ إلا اللهُ وحده لا شريك له فيرتَفِعَ البَلاَءُ عن عِبَاد الله من الأرض، حتى تكونَ الطاعةُ والعبادةُ كلُّها للهِ خالصةً دونَ غيرِهِ) اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ({**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**} يعني: حتى لا يكون شركٌ). اهـ.

إذن: لا تخصيصَ لِمَعبودٍ دون معبود، كلُّ ما عُبِد من دون الله فهو شرك، وكلُّ من عَبَدَ غيرَ اللهِ فهو مُشرك، ومن أجاز بَعضَها دونَ الآخَر فقد افترى على الله الكذب وزَعَمَ أن بعضَ

مَخلوقاتِه يُجوزُ أنْ يُعبَدَ وبَعضَه الآخَر لا يجوز أن يُعبَد، كما هو حال عُبَّاد القبور؛ يُجَوِّزون صَرْفَ جميع العبادات لقبور الأولياء والصالحين كالدعاء والسجود والذبح والنذر، وإذا سألتهم: هل يجوز أن تُصرَفَ هذه العباداتِ لغيرهم، لصنم مصنوعٍ من حجرٍ مثلًا؟ فسيقولون: لا يجوز ذلك، هذا شرك بالله، فنقول لهم: وما الفرق بين من عبد صنما وبين من عبد قبرًا؟ هل الشرك يجوز هنا ولا يجوز هناك؟!

ثم إن أصل الشرك في العالم ظَهَر بسبب تعظيمِ القبور والغلوِّ في الصالحين كما مر معنا، وكثيرٌ من أوثان الجاهلية أصلها رجالٌ مُعَظَّمون عندهم، كاللّاتِ مثلا، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فعبدوهم.

بل إن النبيَّ ﷺ حَذَّر من شرك القبور تحذيرًا خاصًا وصريحًا، فقال في مرضه الذي مات فيه: (**لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ، تقول عائشةُ رضي الله عنها: يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**) [رواه البخاري (٤٣٥)]

وقال عليه الصلاة والسلام: (**اللَّهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْري وَثَنًا، لعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذوا قُبورَ أَنْبِيائِهم مَساجِدَ**) [أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠)]،

وقال: (**لا تجعلوا قبري عيدًا**) [أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠)].

فأيُّ بيان أوضحُ من هذا البيان؟ وأيُّ حجة أقطعُ للمعاندِ من هذه الحجة؟

ثم بدأ الشيخ - رحمه الله - بإيراد الأدلة من كتاب الله على كُلِّ مَعبودٍ يعبُدُه المشركون، فقال: **وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ**

﴿تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]: أي: أن الليل والنهارَ والشمسَ والقمرَ من آياتِ الله الكونيةِ التي تدلُّ على عظمةِ خالِقها ومُدبِّرها، ودليلٌ على تفرُّدِهِ – سبحانه – بالملك والتدبير، والذي هذا شأنه يكون هو المستحقَ للعبادة وحدَه دونَ ما سِواه، فنهى الله – تعالى – عن السجود للشمس وللقمر لأنهما لا يَملِكان شيئًا، ولا ضرًّا ولا نفعًا، وإنما هما مُسَخَّرَتَان مَمْلوكَتَانِ لله جل وعلا.

وكان قومُ إبراهيم – عليه السلام – يعبدون الكواكبَ والنجومَ والشمسَ والقمرَ، ويصورون الأصنام على صور هذه الأجرام، فيعبدونها من دون الله، فإن أكثرَ الأصنام والأوثان صُوِّرَت وشُيِّدَت للدَلَالة على شيء مُعظم عند المشركين.

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها للمنع من مشابهة المشركين في عبادتهم، فقد كانوا يسجدون للشمس في هذه الأوقات.

ثم قال رحمه الله: وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٨٠]: قال ابن كثير رحمه الله: (ولا يأمركم بعبادةِ أحدٍ غيرَ الله، لا نبيٍّ مرسل ولا مَلَكٍ مُقرب.. لأن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياءُ إنما يَأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له) اهـ.

فمشركو العربِ في الجاهلية كان منهم من يَعبد الملائكةَ ويَدعونها من دون الله، ومنهم من كان يعتقد أن الملائكةَ بناتُ الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقال الشيخ: وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]: قال ابنُ جريرٍ رحمه الله: (يقول اللهُ تعالى لعيسى: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين أي: معبودين تعبدونهما من دون الله. قال عيسى: تنزيهًا لك يا رب وتعظيمًا أن أفعل ذلك أو أتكلم به، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، أي: ليس لي أن أقول ذلك؛ لأني عبد مخلوق، وأمي أمَةٌ لك، وكيف يكون للعبدِ والأمةِ ادّعاءُ ربوبية؟) اهـ.

فالنصارى يعبدون عيسى بنَ مريم عليه السلام، واليَهود يعبدون عزيرًا، ومشركو هذه الأمة يعبدون النبيَّ ﷺ.

وقال رحمه الله: وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]: أي إن الذين عُبِدُوا ودُعُوا من دون الله من أهل الإيمان والصلاح، يتقربون إلى الله بطاعته وعبادته ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه سبحانه وتعالى وفي ذلك خطابٌ للمشركين الذين دَعَوا هؤلاء الصالحين من دون الله: بأن المدعوينَ لا يستحقون شيئا من العبادة؛ لأنهم هم أنفسهم يعبدون الله ويتقربون إليه بالطاعات ويرجون رحمته ويخافون عقابه، فكيف يُعبَد من كان هذا حاله وفقره وعجزه؟!

قال ابن جريرٍ رحمه الله: (هؤلاء الذين يَدعُوهم هؤلاءِ المشركونَ أربابًا: يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ، يَبتغي المدعوُّونَ إلى ربهم القُربة والزُّلفة؛ لأنهم أهلُ إيمان به، والمشركون بالله

يعبدونهم من دون الله)، وقال ابن جرير أيضًا: (وأما الوسيلة، فقد بينا أنها القربة والزلفة)، وقال أيضًا: (إنما يبتغي إلى ربه الوسيلةَ من كان موجودا حيًّا يعملُ بطاعة الله، ويتقرّبُ إليه بالصالح من الأعمال) اهـ.

ولا شك أن العبد إذا كان صالحًا وعُبِد من دون الله لا يكون راضيًا عن ذلك، وإلا لكان طاغوتًا من الطواغيت الذين يَرضَون بعبادة أنفسهم.

واختلف المفسرون في المدعوين في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أنهم: المسيحُ وأمُّه مريمُ وعُزير.

والقول الثاني: أنها نزلت في قومٍ كانوا يَعبدون الجن، فأسلم الجنُّ وتبرؤا منهم، وبقي الإنسُ على شركهم واستمروا على عبادة هؤلاء الجن.

ومن أعجب العجب أن المشركين القبوريين يستدلون بهذه الآية على صِحة شركهم، فيُحرِّفون معناها ويقولون أن (الوسيلة) في هذه الآية هي الواسطة الشركية التي مرَّت معنا في بيان الشفاعة المنفية، مع أن الآيةَ واضحةٌ جليّةٌ في أن الوسيلةَ هي القربةُ إلى الله بفعل الأعمال الصالحة كما نص على ذلك علماء التفسير، وأن الذين يتقربون إلى الله بطاعته هم الصالحونَ الذين عُبِدوا من دون الله.

لكن نقول: مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ. نسأل الله السلامة والعافية.

ثم قال الشيخ: **وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]**: اللات: من الأوثان التي كانت تَعبُدُهَا العربُ في الجاهلية، وهو بيتٌ كان بنَخلَةٍ تَعبُدُه قُرَيش، قيل أنها كانت في الطائف.

وفي سبب تسمية اللات قولان:

الأول: أن اللات من "الله" ، أُلحِقَت فيه التاء فأُنِّثَت، سَمَّى المشركون أوثانَهم بأسماء الله تعالى، فقالوا اللات من الله والعُزَّى من العزيز، وزعموا أنهن بناتُ الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. ولذلك قال تعالى بعد ذلك: {**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ**} [النجم:٢١-٢٢].

والثاني: أن "اللاتَّ" بتشديدِ التاء على قراءِة ابن عباسٍ ومُجاهد، فجعلوه صفَةً للوثن الذي عبدوه، وقالوا: (كان اللَّاتُّ رجلًا يَلُتُّ السَّوِيقَ للحجيج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.)

وأما العزَّى: فقيل أنها شَجَراتٍ يَعبدونها، وقيل أنها نخلة، وقيل أنها حجر أبيض، وقيل أنها كانت بيتا تعبده ثقيف. وقد جاء في البداية والنهاية لابن كثير وغيره: (أن النبي ﷺ بَعَثَ خالدَ بنَ الوليدِ بعد فتحِ مكة إلى العُزَّى لهدمها، فهدمها، وقطع الشجرات التي عندها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال له: هل رأيتَ شيئًا؟ قال: لا، قال: فارجع إليها، فرجع فجرد سيفَه، فخرجت إليه امرأةٌ عُريَانةٌ سوداءُ ثائرةُ الرأس، تحثو الترابَ على رأسها، فضربها خالدٌ فقطعها نصفينِ وهو يقول: "يا عزير كفرانَكِ لا سبحانَكِ، إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ" ورجع إلى

رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فقال رسول الله ﷺ: (نعم تلك العزى)، أي: تلك هي شيطانة العزى.

والحاصل أن هذه الآيات الكريمة فيها دليل على أن المشركين كانوا يعبدون الأشجار، بل فيها دليل على أن أوثانَهم كانت أسماءً لرجالٍ صالحين، عكفوا على قبورهم لما ماتوا ثم عبدوهم.

وقال الشيخ رحمه الله: **وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ**: أي هذا دليل آخَر على أن المشركين الأولين كانوا يَعبدون الأشجار، وحديثُ أبي واقدٍ الليثي رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه وقال: حسن صحيح.

وفيه أن بعضَ الصحابةِ في غزوة حنين كانوا حُدَثَاءَ عهدٍ بكفر، أي: اسلموا قريبًا بعد فتح مكة، فرأوا المشركين يَعكُفُون على شجرةِ سدرٍ يُقال لها "ذاتُ أنواط" يَنَوِّطُون بها أسلحَتهم: أي يعلقون بها اسلحتَهم رجاءَ بركتها، يقولون: "إذا عُلِّق السيفُ بها كان أمضى له وأقوى"، فسأل بعض هؤلاءِ الصحابةِ رسولَ الله ﷺ أن يجعل لهم سدرةً ذاتَ أنواط كما للمشركين ذاتُ أنواط، فغضب النبي ﷺ وقال: (**الله أكبر، إنها السُنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: ١٣٨]، لتركبنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**) [رواه أحمد (٢١٣٩٠)، والترمذي (٢١٨٠) وقال : حسن صحيح].

فشَبَّهَ النبيُّ سؤالَهم هذا بسؤال بني إسرائيل لموسى عليه السلام: {**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**}.

وهذا دليل صريح على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ لم يكونوا يعبدون الأصنام وحسب، وإنما كانوا يعبدون الأشجار أيضًا، واليوم أيضًا نجد كثيرًا من المشركين المنتسبين للإسلام يتعلقون بالأشجار والنخيل ويعكفون عليها ويعلقون عليها الخِرقَ ويَنْذُرُون لها، ويقولون: هذه الشجرة كان يجلس عندها الولي الصالح الفلاني، أو يقولون: إنها مُجَربَّة؛ تشفي الأمراض وتقضي الحاجات، وتفعل كذا وكذا.

وحديث ذاتِ أنواطٍ يُشبِّه به بعضُ القبوريين وإخوانُهم العاذرون لهم، يقولون أن في هذا الحديث دليل على أن من فعل هذا الفعل لا يكون مشركًا؛ لأن النبي ﷺ لم يَحكم بكفر الصحابة الذين سألوه أن يجعل لهم ذاتَ أنواط.

وهذه الشبهة الواهية لا تُسعفهم؛ فإن الصحابة الذين سألوا النبي ﷺ هذا السؤال كانوا حدثاءَ عهدٍ بكفر، فخفيت عليهم هذه المسألةُ، فسألوا النبيَّ ﷺ قبل الإقدام على فعلها، ولو فعلوها لكفروا، ولكن لما أنكر عليهم الرسولُ ﷺ سؤالَهم هذا وشبهه بسؤال بني إسرائيل لموسى، انتهوا على الفور.

وقال الشيخ محمدُ بنُ عبدِالوهّاب -رحمه الله- في كشف الشبهات (ص:٤٤-٤٥): (ولكن للمشركين شبهةٌ يُدلُون بها عند هذه القِصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، كذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: (اجعل لنا ذاتَ أنواط) لم يكفروا. فالجواب أن

تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواطٍ بعد نهيِه لكفروا، وهذا هو المطلوب.) اهـ.

ثم قال الشيخ رحمه الله: الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

الشرح: هذه القاعدة الرابعة والأخيرة من هذه الرسالة المباركة: رسالة القواعد الأربع، أو (أربعُ قواعدَ للدين تميز بين المؤمنين والمشركين).

فبعد معرفةِ السبب الذي خلقنا الله من أجله وهو عبادته وحده وعدم الإشراك به.

ومعرفةِ أن التوحيدَ لا يَجتمع من الشرك بالله بحال من الأحوال.

ومعرفةِ القاعدةِ الأولى: وهي أن المشركين الأولين الذين قاتلهم الرسول كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

ومعرفةِ القاعدةِ الثانية: وهي قولهم أنهم ما دعوا أوثانهم إلا لطلب الشفاعة والقربة من الله.

ومعرفةِ القاعدةِ الثالثة: وهي أنهم كانوا متفرقين في عباداتهم، ولم تقتصر عبادتهم على الأصنام.

ثم تأتي القاعدة الرابعة والأخيرة التي تبين قبح مشركي زماننا، وأنهم أغلظ وأشد شركًا من الأولين، وهي في قول الشيخ رحمه الله: **أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ.**

وذَكَرَ الشيخُ – رحمه الله – أحدَ أوجهِ ذلك بقوله: **لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]**: نعم فالمشركون الأولون كانوا إذا نزل بهم البلاءُ واشتدت وطأتُهُ عليهم أخلصوا العبادة لله، ولم يشركوا به شيئا؛ لأنهم يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، وأن بيده مقادير كل شيء، كما في قوله تعالى: {**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**} [العنكبوت: ٦٥].

قال ابن جرير رحمه الله: (إذا رَكِبَ هؤلاء المشركون السفينةَ في البحر، فَخَافوا الغرقَ والهلاكَ فيه، أخلصوا التوحيدَ لله عند الشدّةِ التي نَزَلت بهم، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم، فلَمَّا خَلَّصَهَم مما كانوا فيه وسلَّمهم فصاروا إلى البرّ، إذا هم يَجعَلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا.) اهـ.

وفي هذا جاءت آياتٌ كثيرةٌ في كتاب الله، منها قوله تعالى: {**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا**} [الإسراء:٦٧]،

وقوله تعالى: {**وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**} [لقمان:٣٢]

وقال سبحانه: {**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**} [النحل:٥٣-٥٤]،

فهذا هو حال المشركين الأولين؛ كانوا يُشركون مع الله في عبادتهم في وقت الرخاء والطمأنينة، فإذا أحاط بهم الخطرُ، كالأمواج المتلاطمة في البحر، دعوا الله وحده واستغاثوا به ولجأوا إليه؛ لِعِلْمِهم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وأنه الوحيد القادر على أن أن يخلصهم من هذا الكرب العظيم، ثم بعد أن ينجيهم الله من كربهم، يعودون إلى ما كانوا عليه من الشرك والتنديد.

وكما مر معنا في حديث حصينِ بن عُبيدٍ الخُزاعي قبل إسلامه لما قال له رسول الله ﷺ: (**يا حُصَينُ، كم تعبُدُ اليومَ إلهًا؟ فقال: سِتَّةً في الأرضِ وواحدًا في السَّماءِ، قال: فأيُّهم تَعُدُّهُ لرغبتِكَ ورهبتِكَ؟ قال: الذي في السَّماءِ**).

وأما مشركو زماننا فحالهم أقبحُ وأشدُّ من المشركين الأولين؛ لأنهم يُشركون في الرخاء وفي الشدة، بل في الشدة والبلاء يزداد شركُهم وتعلُّقُهُم بمعبوداتِهم الباطلة؛ فإذا نزلت بهم

نازلة، صاحوا وصرخوا: (يا محمد، يا حسين، يا علي، يا عبدالقادر، يا تيجاني، يا بدوي، يا عيدروس، يا بدوي...)،

ولقد شاهدت مرةً مقطعًا لطائرةٍ كانت قد دخلت في المِطبات الهوائية، وصارت تضطرب وتهتز، فبدأ ركاب الطائرة بالاستغاثة بعلي وفاطمة، وصاروا يَصْرُخُون: "يا علي ما لنا سِواك، يا فاطمة أغيثينا.."، ولم يذكروا اللهَ ولو لمرة واحدة والعياذ بالله، وهذا دليلٌ على بلوغهم مبلغًا من الشرك والكفر بالله لم يبلغه أحدٌ من كفرة العالم، حتى فرعون الطاغية، الذي قال: **{أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ}** [النازعات:٢٤] لمَّا أدركه الغرق قال: **{آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [يونس:٩٠]، ومع ذلك لم ينفعه ذلك.

الشيخ – رحمه الله – في هذه الرسالة ذَكَرَ وجهًا من أوجهِ كَونِ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، وإلا فهناك أوجهٌ أخرى.

وقد ذكر الشيخُ وَجهًا ثانيًا في رسالة (كشف الشبهات) في قوله رحمه الله: (**الأمر الثاني: أن الأولين يَدعُون مع الله أناسًا مُقَرَّبين عند الله، إما أنبياء وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعةً لله ليست عاصية، وأهلُ زمانِنا يدعون مع الله أناساً من أفسقِ الناس، والذين يَدعُونهم هم الذين يَحكُون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك. والذي يَعتقد في الصالح، أو الذي لا يَعصي مثلِ: الخشب والحجر أهونُ ممن يعتقد فيمن يُشاهِد فِسقَه وفَسَادَه ويَشهَد به**) اهـ.

نعم، المشركون الأولون وقعوا في الشرك بسبب الغلو في الصالحين، فقوم نوح عكفوا على قبور رجال صالحين حتى عبدوهم، وهم ود وسُوَاع ويغوث ويعوق ونسر، ومشركو العرب كان يعبدون أوثانا على أسماء أناس صالحين كاللات الذي كان يلت السويق للحجيج، وأما مشركو زماننا فيعبدون أناسا من أفسق الناس، بل من أكفر الناس، كالذين يعبدون البدوي الرافضي القرمي، وكان تاركًا للصلوات، ويعبدون الدسوقي الرافضي، وابنَ عربي الملحد صاحبَ وحدة الوجود، وغيرِهم من الزنادقة الفجرة،

وعند هؤلاء كلما بلغ الرجلُ مبلغًا كبيرًا من الكفر والزندقة والوقوع في الفواحشَ والعظائمَ: زادت منزلته ووَلَايته عندهم؛ لأن هؤلاء – بزعمهم – قد بلغوا منزلةً يَخرجون بها عن خِطاب الشرع ويزول عنهم التكليف لعدم حاجتهم لطاعة الرسول بعد ذلك، فيقترفون بذلك شتَّى أنواعِ المُوبقات باسم الوَلَاية.

بل كثيرٌ من مشركي زماننا يعبدون شياطين الجن ومرَدَتَهم، مع اعتقادهم أنهم على كفر وضلال، وذلك إما لنيل مطلبٍ منهم فيَتَقرَّبُون إليهم بأنواعِ العبادات كالذبح والنذر لهم، وإما لخوفهم منهم، فيقربون لهم القرابين من الذبائح والأطعمة وغيرها مخافةَ أن ينالَهم شرٌّ منهم.

حينئذ يكون مشركو زماننا أغلظَ شركًا من الأولين الذين عبدوا الصالحين.

وهناك وجه ثالث لكونهم أغلظَ شركا من الأولين: وهو أن الأولين كان عامةُ شركهم في توحيد الألوهية: بصرف العبادة لمعبوداتهم من دعاءٍ وسجودٍ وذبحٍ ونذر، ولم يعتقدوا أن هذه المعبودات لها شركٌ في ربيوبية الله؛ مِن} خلق أو ملك أو تدبير أو إحياء أو إماتة، وأما مشركو

زماننا فقد زادوا على ذلك باعتقادهم أن لِمعبوداتهم تصرفًا في الكون، فيقولون إن الولي يحيي ويميت، كما قال عدوُ الله الجفري، قال أن الولي يخلق الجنين في بطن أمه من غير جِماع، ويقولون أيضًا أن السمواتِ والأرضَ بيد الولي كالدرهم بيد أحدنا، ويقولون أن الولي إذا أراد للشيء قال له كن فيكون!

والوجه الرابع: أن مشركي زماننا كثير منهم يقولون بقولٍ لم يقل به المشركون الأولون؛ وهو القول بالحُلول والاتحاد ووحدة الوجود،

والحلول: هو أن الله قد حل في بعض مخلوقاته كما تقوله الرافضة النصيرية وكما قال به الحلاج ومن تبعه.

والاتحاد: هو أن الله متحد مع الوجود، أي الوجود عندهم هو عين ذات الله، تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا.

والوجه الخامس: أن مشركي زماننا جهمية مُعَطِّلُون لصفات الله سبحانه وتعالى، فينكرون علو الله على خلقه، وينكرون جميع صفاته إلا قليلا منها كما هو الحال عند جهمية الأشعرية، وأما المشركون الأولون فكانوا يقرون بعلو الله على خلقه وغيرها من الصفات المعلومة بالفطرة والعقل، فلم يجادلوا الرسول ﷺ في صفات الله بخلاف مشركي زماننا فإنهم يجادلون الموحدين في جميع أقسام التوحيد!

والوجه السادس: أن مشركي زماننا ينتسبون إلى دين الإسلام، ويزعمون أن ما هم عليه من شرك وضلال هو من الدين، بخلاف المشركين الأولين الذين عرفوا أن دين الرسول هو توحيد الله، ودينهم هو الشرك والتنديد، ففرقوا بينهما.

والوجه السابع: أنّ المشركين الأولين لم يكونوا يطلبون من آلهتهم كلَّ ما يُطلَب من الله؛ فلهم مطالب لا يطلبونها إلّا من الله، أمّا مشركو زماننا: فلهم مطالب لا يطلبونها من الله ويطلبونها من معظّميهم والعياذ بالله.

والوجه الثامن: أن المشركين الأولين كان شركهم شركَ الوساطة، فيسألون آلهتهم وهي تسأل اللهَ لهم وتشفع لهم كما يزعمون، بخلاف مشركي زماننا الذين زادوا على ذلك بدعاء معبوداتهم استقلالًا.

وبهذه القاعدة ختم الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب هذه الرسالة المباركة النافعة، والتي يجب على كل مسلم أن يعرف هذه القواعد ويتدبرها؛ ليميز بها بين دين المرسلين ودين المشركين، وبين المسلمين الموحدين والمشركين المنددين.

نسألُ اللهَ تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعنا بهذه الرسالة، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجزي الشيخَ الإمامَ محمدَ بن عبدالوهاب خير الجزاء على ما قدمه لهذه الأمة،

ونسأله سبحانه أن يحيينا على الإسلام والسنة وأن يتوفنا على الإسلام والسنة ، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ عبداللطيف الراوي الحسيني

t.me/mahadalrawi

***

الفهرس

الموضوع **الصفحة**